«انت الصفاة»

لمة

في رئاسة القديس بطرس وخلفائه الحبر الروماني

سُئلنا : ما الرأي ، من الوجهة الكتابية والتاريخية ، في القول الآتي :
« بطرس احد الزعماء وليس الرئيس . والكنيسة المقدسة احترمت بابا رومة كزعيم ذي شأن وليس كرئيس مُطاع ؟ »
فنُجيب :

١

الزعم الاول

« بطرس احد الزعماء وليس الرئيس »

المفهوم من هذا الزعم ان المسيح الربّ ، لاسمه المجد ، لم يُنشئ كنيسة منظورة واحدة ، بل كنائس متعدّدة اي فئات شتى ، لا يحكم في امرها رئيس سامٍ فرد ، بل لكل منها « زعيم » مستقل تماماً عن غيره . وانما بطرس واحد منهم ليس الّا .

وهذا ما تنقضه تماماً اقوال الربّ عينه في الانجيل الطاهر . فاذ ابتدأ يكرز عزّ وجلّ ، كان يقول (متى ٤ : ١٧) : « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات » بالمفرد . ولم نسمعه قطّ يثني او يجمع ملكوته الذي هو كنيسته وقال ايضاً : على الصفاة سأبني « كنيستي » (متى ١٦ : ١٨) لا كنيستَيّ ولا كنائسي . بل صرّح جليّاً ان رعيّته ينبغي ليس ان تكون « واحدةً » فحسب ، بل « لراعٍ واحد » (يو ١٠ : ١٦).

وهذا ما فهمه الرسل كما يُستدلّ من مواضع عديدة[1] وعلّموه المؤمنين

---

١) راجع اعم ٩ : ٣١-٣٢ ؛ ١٥ : ١٦ ؛ ٢٠ : ٢٨ ؛ ١ كور ١٠ : ١٧ ؛ ١٢ : ١٣ الخ.

الاولين . جاء في تعليم الرسل[1] « اذكر يا ربّ كنيستك . . . واجمعها من اربع اقطار المسكونة مقدّسةً لملكوتك » وقال القديس يوستينوس[2] : « ان الذين يؤمنون بالمسيح هم نفس واحدة ومجمع واحد وكنيسة واحدة . » وما اصرح قول القديس كبريانوس[3] : « واحدٌ هو الله وواحدٌ هو المسيح وواحدةٌ هي الكنيسة وواحدٌ هو الكرسي المؤسس بصوت الربّ على الصخرة . »

ولا تتوهمنّ ان رابطة الوحدة هذه انما هي روحية محضة . فهي منظورة ظاهرة كما انّ الحظيرة هي منظورة ظاهرة . فالوحدة التي توخّاها المسيح هي :

١ً : وحدة الاعتراف بايمان واحد . فقد قال (متى ٢٨ : ١٨) للرسل : « تلمذوا كلّ الامم . . . . وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به » وايضاً (مر ١٦ : ١٥—١٦) : « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها . فمن آمن واعتمد يخلص ومَن لم يؤمن يُدان . » وتلك كانت عقيدة الرسل[4] والآباء منذ اوائل النصرانية ، منهم يوستينوس المذكور آنفاً وهيجيزيبوس[5] وهو يستمي هراطقةً « الذين انفردوا بزعامهم الخصوصية . . . لأنهم اذ استنبطوا تعليماً مشوهاً . . . فسخوا وحدة الكنيسة » وقال القديس ايراناوس[6] في القرن الثاني للمسيح : « كما ان الشمس هي واحدةٌ في العالم اجمع لا تتغير ، كذلك يسطع التبشير بالحقيقة في كل الانحاء ويُنير كلَّ بني البشر ، الذين يرغبون ان يأتوا الى معرفة الحقيقة . . . لان الكنيسة الجامعة لها في المعمور كله ايمانٌ واحدٌ لا يتغير . »

٢ً : وحدة الشركة . وقوامها بان يكون كل اعضاء الكنيسة ، افراداً وفئاتٍ ، مرتبطين معاً ، على شكل جسم ادبيّ واحد ، وعائلةٍ واحدة ، وجامعة واحدة . فهم مشتركون بذبيحة واسرار وصلوات واحدة .

---

١) *Didachè* 10 : 5

٢) *Dial. c. Tryph.* 63

٣) *Ep. ad plebem*, 5

٤) راجع غلا ١ : ٨ — ١ كور ١ : ١٠ — افس ٤ : ٥ الخ .

٥) ذكره اسابيوس في تاريخه الكنسي ٤ : ٢٢ .

٦) *Adv. Hær.* I, 10 : 23

هذا ما يُفهَم من الاستعارات التي عبَّر بها الرب والرسل عن كنه الكنيسة. فهي في عرفهم صرحٌ ذو اساس واحد ، وملكوت تُسلَّم مفاتيحه الى امين واحد[1] ورعيَّة لراعٍ واحد[2] وجسم مجهَّزٌ منظَّم واحد[3].

وهل من مجال للشك في ان الوحدة المنشودة هي التي قصدها الرب في صلاته بعد العشاء حيث هتف قائلًا (يو ١٧):

«ايها الآب القدوس احفظ باسمك الذين اعطيتهم لي ليكونوا واحدًا كما نحن واحد . . . ليكونوا باجمعهم واحدًا كما انك انت ايها الآب فيَّ وانا فيك ، ليكونوا هم ايضًا واحدًا فينا . . . . ليكونوا واحدًا كما نحن واحد ، انا فيهم وانت فيَّ ، ليكونوا مكملين في الوحدة . »

٣ : وحدة السلطة والرئاسة . وقوامها بخضوع كل المنتمين الى كنيسة المسيح لسلطة منظورة واحدة . وانما متقلدو هذه السلطة هم الاساقفة المتحدون بالسدّة البطرسية ، الخاضعون لها.

فلا لعمري ليس بطرس «احد الزعماء» بل هو الرئيس الاعلى ورئيس الرؤساء وراعي الرعاة . عليهم ، هم ومرؤوسهم ، ان يتقيدوا بتعليمه وباوامره في كل ما يتعلق بالعقيدة والاداب والتهذيبات . ومن منهم انفصل عنه فقد انفصل عن الكنيسة الحقيقية.

واليك النصّ الذي به حدّد المجمع المسكوني الفاتيكاني هذه العقيدة[4]. قال :

«ان قال احدٌ ان الطوباويّ بطرس الرسول لم يُقم من المسيح الرب رئيسًا على كل الرسل ورأسًا منظورًا لكل الكنيسة المجاهدة ، او انه اخذ من ربنا يسوع المسيح اولية الشرف فقط ، وليس اولية الولاية الحقيقية الصحيحة ، فليكن محرومًا . »

وفي الانجيل الطاهر نصوص صريحة جليّة ، تؤيد التحديد المذكور ، ممّا لا يترك ادنى مجال للشكّ ، اللهمّ فيمن سلمت اذهانهم من الاوهام. واليك شيء من هذه النصوص:

١ – كان المسيح قد سأل الرسل:

---

١) راجع مت ١٦ : ١٨–١٩ .
٢) راجع يو ١٠ : ١٦ ٣) راجع روم ١٢ : ٤–٥ ؛ ١ كور ١٠ : ١٧ الخ.
٤) الجلسة ٤ والرأس الاول – راجع ايضًا الرأس الثالث.

«وانتم من تقولون اني هو . فاجاب سمعان بطرس قائلا انت المسيح ابن الله الحي . فاجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا . فانه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن ابي الذي في السماوات . وانا اقول لك انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها . وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات وكل ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات . » (مت ١٦ : ١٥ - ١٩) .

وانك ترى جلياً ان المخاطب في النص المذكور هو شخص مفرد اسمه سمعان واسم ابيه يونا . فله وحده إذن ، وله رأساً ، يعد الرب يسوع ما يعد . والموعود به انما هو لا محالة سلطة الولاية على كل الكنيسة التي عزم الرب على انشائها فقد قال :

١ — « انت الصفاة ، اي الصخرة ، وعلى هذه الصفاة سابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها» ولا شك ان لفظة «كنيستي» ، بدون ما اضافة شرط ولا قيد ، تدل على كل كنيسة المسيح . وقد لقب ، عز وجل ، سمعان «بالصفاة» دلالة على انه يكون الصخرة التي ستُبنى عليها الكنيسة . والمعنى ان سمعان يخوّل كنيسة المسيح كلما يخوّل البيتَ اساسه الصخري ، بان يجعل كل اجزائه مترابطة متلاحمة ، فيسي متيناً لا تزعزعه عوامل الخراب .

وكون معنى الاستعارة التي استعملها الرب هو على ما شرحنا ، فيستفاد بنوع ظاهر من قول سابق له ، عز وجل . فقد قال في ختام عظته على الجبل (مت ٧ : ٢٤ — ٢٥) :

«كل من يسمع كلامي هذا ويعمل به يُشبه رجلا حكيماً بنى بيته على الصخر . فنزل المطر وجرت الانهار وهبت الرياح واندفعت على ذلك البيت فلم يسقط لان اساسه كان على الصخر . »

فلبطرس اذاً ان يجعل كنيسة المسيح واحدةً متينة لا تزعزعها قوات اعدائها ، التي تدلّ عليها «قوات الجحيم» سواء عُني بهذه العبارة الموت او القوات الشيطانية ، وهو الرأي الاشيع . ففي الرأي الاول يُفهم من قول يسوع ان الكنيسة لن تموت ، لن تتلاشى ، لانها مؤسسة على سمعان . وان كان الثاني فالمؤدى انها ، بفضل الاساس عينه ، لن تتزعزع ، مهما صادمها الشيطان او اعوانه من ابالسة وبشر .

ب «ساعطيك مفاتيح ملكوت السماوات» اوليس انّ من سلّم اليه سيده مفاتيح بيتٍ او مدينة ، كيما يفتح ويغلق على ما يرى ولمن يرى ، فقد سلّطه عليهما سلطة تامة مطلقة. فيكون الرب ، اذ وعد سمعان بمفاتيح ملكوت السماوات ، اي كنيسته على الارض ، قد وعده بسلطة تامة سامية على الكنيسة.

ج — وكي لا يخشى هذه الحقيقة ادنى ريب ، شاء الرب ، جلّت مراحمه ، ان يُفسّر لنا بذاته معنى لفظة المفاتيح. فقد قال فيما يليها : «كلّ ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات. وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات .» والمراد انه لما كان بطرس عتيداً ان يتقلد السلطة السامية التامة على الكنيسة ، من اجل هذا اضحى كأن الله يتكلم بفمه . فهو تعالى يُقرّ في السماء كل ما يقرّره بطرس على الارض . فالله يربط ما ربط ويحلّ ما حلّ. وهل من حاجة الى البيان ان الرباط المقصود هنا ، انما هو الرباط الادبي ، الذي يُعبّر عنه بالالزام. افلا يكون اذ ذاك معنى كلام الرب ان قرارات بطرس تتقيد بها ضمائر ابناء الكنيسة كلهم . فان فرض عقيدة او عملاً فعليهم ان يؤمنوا ويخضعوا ، وان نهى فعليهم ان يمتنعوا ، والّا فقد اساؤوا الى الله الدّيان بعينه.

٢ — وقد انجز المخلص وعده لبطرس بعد قيامته على ما ذكر الرسول يوحنا في انجيله حيث نقرأ (٢١ : ١٥ — ١٧) :

«قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بن يونا أتحبني اكثر من هؤلاء. قال له نعم يارب انت تعلم اني احبك. قال له ارعَ خرافي. قال له ثانية يا سمعان بن يونا اتحبني . قال له نعم يا ربّ انت تعلم اني أحبك. قال له ارعَ خرافي. قال له ثالثةً أتحبني فقال له يا رب انت تعلم كل شيء وانت تعلم اني احبك. فقال له ارعَ غنمي.»

فظاهرٌ من هذا النصّ ان كلام الرب موجّه الى بطرس واليه وحده . فانه يدعوه باسمه واسم ابيه ، بل يميّزه صريحاً عن زملائه قائلاً : اتحبني اكثر من هؤلاء. وظاهرٌ ان يسوع يخوله السلطة السامية على كل الكنيسة . وظاهرٌ ان الخراف والغنم تدلُّ على الكنيسة بكل افرادها بدون استثناء ، وقد سبق للرب ان دعاها حظيرته (يو ١٠ : ١١ — ١٦) وسيأتي ان يُعنى بالخراف المرؤسين وبالغنم الاساقفة ، على ما فهم اكثر المفسرين ، او ان يُقصد باللفظتين كل

جمهور المؤمنين . فهل يمكن ، حتى في المعنى الثاني ، ان نستثني الاساقفة من رعاية بطرس ، ما لم ننكر انهم من حظيرة المسيح ، معاذ الله ! وهل من حاجة الى الاسهاب في تفسير لفظة «إرعَ» ؟ وحيث يكون مفعولها خرافاً عاقلة ناطقة ، كما هو الواقع هنا ، افلا يكون مدلولها سلطة التدبير والحكم ؛ أم ليس هذا ما قصده بعض الملوك من الاقدمين اذ لقبوا انفسهم رعاةً ؟

٣ — ومما يؤيد الحقيقة التي نحن بصددها ظروف جزئية ، يعثر عليها مَن يتصفح اسفار العهد الجديد ، وقد يخالها لاول وهلة طفيفة لا طائل تحتها ، الّا انه لا يلبث ان يُنعم النظر فيها ، إذ يراها تتكرّر مراراً عديدة . فيحاول تعليلها فلا يجدُ لوقوعها تفسيراً سوى السلطة السامية المطلقة التامة المخوّلة من الرب لبطرس من ذلك :

ا — انَّ اسم «الصفاة» هوَ من وضع الرب عينه ، وذلك قبل ان يعد رسوله بالرئاسة السامية . فقد ذكر القديس يوحنا (يو ١ : ٤٠ — ٤٢) انه لما جاء اندراوس باخيه سمعان الى يسوع «نظر اليه يسوع وقال : أنت سمعان بن يونا أنت تُدعى كيفا الذي تفسيره الصفاة .» وقال انجيليٌّ آخر (مر ٣ : ١٦) : «وجعل لسمعان اسم بطرس» ومعلوم ان الاسماء التي من وضع الله لا بد ان تأتي مطابقة لمن تُطلق عليهم . واماً ما اراد المخلص ان يعبّر عنه بتسميته سمعان بطرس ، اي الصفاة والصخرة ، فظاهرٌ فيما ورد في الفصل الـ ١٦ من انجيل متى على ما مرّ بك .

ب — ومثل هذا المنزلة الرفيعة التي لبطرس دون سواه في الاسفار المقدسة . فانّا نرى يسوع يعلّم من سفينته ، واليه وحده ، بعد الصيد العجيب ، يوجّه القول (لو ٥ : ١٠) : «لا تخف فانك من الآن تكون صائداً للناس» . وهو اول من غسل يسوع وجليه (يو ١٣ : ٦) واول من يجب من الحواريين ان يُبلَّغ خبر القيامة السيدية (مر ١٦ : ٧) بل اول من منهم يظهر له الرب بعد خروجه من القبر حيا (لو ٢٤ : ٣٤ — ١ كور ١٥ : ٥) .

ج — ومن ذلك ايضاً المحلّ الاوّل الذي خُصّ به بطرس في الكتب المذكورة : كان اندراوس قد تبع المسيح قبل اخيه . ومع هذا نرى ان

« انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها »
(متى ١٦ : ١٨)

خليفة القديس بطرس

قداسة الحبر الاعظم

يوس الحادي عشر

المالك ـ ميدًا

المكان الاول في كل قوائم الرسل محفوظ لبطرس[1] بل قد لاحظوا ان متى[2] يقول صريحاً في قائمته : « الاول سمعان المدعو بطرس » ويكتفي بان يسرد اسماء الباقين من الحواريين بدون ما يرتبهم بان يقول مثلاً: « والثاني اندراوس والثالث يوحنا . . . »

د — وللسبب عينه وكل الرب الى بطرس ان يثبت باقي الرسل . فقد ذكر القديس لوقا (٢٢ : ٣١-٣٢) ما نصه : « قال الرب : سمعان سمعان هوذا الشيطان سأل ان يغربلكم مثل الحنطة . لكني صليت لاجلك لئلا ينقص ايمانك وانت متى رجعت فثبت اخوتك » فكيف يثبت الآخرين من ليس له عليهم سلطة ؟

ه — وهي سلطة بطرس السامية التي مكنته من الاعمال التي اتاها بعد الصعود . فهو الذي يتصدر انتخاب متيا وهو اول من يبشر بالانجيل يوم العنصرة واول من يؤيده بمعجزة[3] . الى غير ذلك مما تعلله سلطة بطرس تعليلا يرتاح اليه العقل[4] ومما اذا نظرنا اليه ، ليس بكل مفرداته على حدة ، ولكن بها مجموعة ، يدل ولا شك ان لبطرس على زملائه مزية لا معنى لها ، ما لم يكن معترفاً له بسلطة حقيقية سامية عليهم جميعاً .

وهذا ما فهمه الآباء ، منذ اوائل الكنيسة ، على ما يتضح من كتاباتهم العديدة[5] ، يطول بنا سردها في هذه العجالة . بل يكفينا ان نذكر في جزءها الثاني ما قالوا وأتوا دلالة على اعتقادهم بسلطة خلفاء بطرس .

٢

الزعم الثاني

« والكنيسة المقدسة اعترفت بابا روما كزعيم زمني شامل وليس كرئيس مطلق . »

هذا ما يكذبه التاريخ تماماً . واليك الادلة :

١) راجع مت ١٠ : ٢-٤ ومر ٣ : ١٦-١٩ ولو ٦ : ١٤-١٦ واعم ١ : ١٣ .
٢) في المحل المذكور . ٣) راجع اعم ١ : ١٥ ؛ ٢ : ١٤ . . . ؛ ٣ : ٦ .
٤) راجع اعم ٢ : ٣-٨ ؛ ١٥ : ٦ . . . ؛ ٩ : ٢١-٢٢ ؛ غلا ١ : ١٨
٥) راجع Tertullianus, *de Præscript.* 22 ; — *Origenes, In Ep. ad Rom. c. VI, l. V, circa finem* ; — Cyprianus, *de Unitate Eccl.*, 4, etc....

١ : في اواخر القرن الاول للمسيح ، اذ كان بعدُ يوحنا الرسول في قيد الحياة ، كتبَ اسقف رومة ، القديس اكليمنضوس ، الى كنيسة كورنتس التي كان قد اسسها بولس الرسول عينه ، رسالةً ضافيةً ، لا معنى لها لولا اعتقاده بما له على الكنيسة المذكورة من السلطة الحقيقية الحليقة ان تطاع . واليك بعض ما جاء في الاثر المذكور :

«عارٌ وعارٌ للغاية ان يُسمَع ، وغير خليق بالطريقة المسيحية ما قد تحققناه . الا وهو ان كنيسة اكورنتيين المتينة والعريقة في القدم تثور على كهنتها بسبب انسان واحد او اثنين . . . فيا ايها الذين اقتم اسس الفتنة كونوا بالطاعة خاضعين للكهنة وتقبلوا التأديب للتوبة . . . وليمّ يخضعوا لما يقوله المسيح بلساننا فليدعوا انفسهم يورّطون بانفسهم الى اساءة وخطر ليسا بطفيفين . واما نحن فنكون قد برّرنا ذاتنا من هذه الخطيئة . . . وقد ارسلنا رجالا امناء يكونون شاهدين بينكم وبيننا . » (١) .

فهل تختلف لهجة اكليمنضوس عن لهجة باباواتنا ، ام سلطته عن سلطتهم ؟

وما احسن ما وصف به القديس ايراناوس (٢) هذه الرسالة حيث قال : « انها قويّة للغاية » (ἱκανωτάτη) . ومع ذلك فقد تقبلها الكورنتيون بكل اكرام بل جرت العادة طويلةً من بعد ان تُتلى في مجتمعات المؤمنين ليس بكورنتس فحسب بل في غيرها من المدن .

واكليمنضوس هذا تلميذ الرسل ومثله القديس پوليكربوس اسقف ازمير الذي نراه يقصد رومة ، بالرغم من كبر سنه ومشقات السفر البعيد ، كيما يسأل البابا انيكيتوس حلًا للمسألة الفصحية .

٢ : ومن تلاميذ پوليكربوس في القرن الثاني القديس ايراناوس الذي أُسقف على مدينة ليون . فتكون شهادته ناطقة باتان وتقاليد الكنائس الاولى في فرنسة وايضاً في الشرق الذي نشأ فيه . وقد عُني هو ايضاً لدى الحبر الروماني بالمسألة الفصحية فكتب الى البابا ڤيكتور رسالة (٣) يرجو منه بها ان لا يحرم الكنائس الاسيوية العديدة ، لداعي تمسكها وتشبثها بالتاريخ الفصحي ، الذي كان قد عيّنهُ الرسل انفسهم ، على سبيل تهذيب كنسي محض . وما كان

(١) *Ep. I Clem. ad Cor.* ٤٧ : ٦ ; ٥٧ : ١ ; ٥٩ : ١ ; ٦٣ : ٤.

(٢) *Adv. Haer. III.* ٣ : ٣.

(٣) راجع التاريخ الكنسي لاوسابيوس ٢٤ : ٥

اسهل على ايراناوس ان ينال مرامه لو كان لا يعتقد اعتقادنا بسلطة البابا المطلقة. فكان يمكنه اذ ذاك ان يقول له : «انت زعيم ذو شأن لا رئيس مطاع» والكنائس الاسيوية مستقلة عنك فليس لك ان تغيّر تهذيباتها ولاسيما تلك التي انشأها فيها الرسل . على ان ايراناوس لم يستند الى مثل هذه البراهين لانه كان يعتقد بل. السلطة في الكنيسة للحبر الروماني . فاقتصر في رسالته المذكورة على الالحاح لدى البابا ڤيكتور ان يعامل الكنائس الاسيوية في هذه القضية التهذيبية بحلم وتساهل ، اسوةً بسلفائه الستة من عهد البابا كسيستوس.

وقد صنّف ايراناوس سفرًا جليلًا ضدّ البدع الكاذبة . ومما يبسط فيه طريقتان للحصول على معرفة الحقيقة :

«احداهما استطلاع الكنائس ، التي تتصل اساقفتها بالرسل بتسلسل متواصل . فالامر الذي تتفق عليه هذه الكنائس يكون الحقيقة بعينها . واما الطريقة الاخرى ، وهي اعجل واسهل ، فانما تقوم بالتنقيب عن تقليد الكنيسة العظمى ، العريقة في القدم ، المعروفة لدى الجميع ، وهي التي انشأها واقامها في روما الرسولان المجيدان بطرس وبولس.»(١

والسبب في كون رأي الكنيسة الرومانية هو ، بمعزل عن سواه ، كافٍ وافٍ ، يوضحه ايراناوس بقوله :

«فان هذه الكنيسة (الرومانية) ، لما من الاولية الفذيرة ، يجب ان تقصدها كل كنيسة ، اي المؤمنون من كل صقع ، اذ لا يزال دوماً محفوظاً فيها ، من الذين هم من كل صقع ، التقليد الذي هو من الرسل» (٢

والمعنى الظاهر انّ الكنيسة الرومانية لها على سواها ميزة خاصة ، مما لا بد لاجلها ان تؤمن باقي الكنائس ايمانها وتعتقد اعتقادها.

وللقديس اغناطيوس الشهيد اسقف انطاكية ، في القرن الثاني ، اقوال تشهد بتعلقه بالسدّة البطرسية وخضوعه للجالس عليها . وذلك خصوصاً في رسالته الشهيرة الى الرومانيين.

٣ : ومثله في القرن الثالث ترتليانوس ، قبل ان يكون قبل انشقاقه ، وكيبريانوس وديونيسيوس الاسكندري.

---

١) *Adv. Haer. III*, 3 : 2.

٢) في المحل المذكور

٤ : وكان الاوسابيون في القرن الرابع عزلوا القديس اثناسيوس الاسكندري عن كرسيه. فرفع هذا ، كما والاوسابيون انفسهم ، الامر الى البابا يوليوس الاول . فصرّح الحبر الروماني بوجوب اعادة اثناسيوس الى كرسيه وانكر على الاساقفة الاوسابيين اقدامهم ، عن غير ترخيص منه ، على خلع الاساقفة ولاسيما الاسقف الاسكندري ، من مناصبهم . قال : «هل تجهلون ان العادة هي ان يُكتَبَ اولًا الينا ومن هنا يصدر القرار بما هو عادلٌ»[1]

وذكر سوقراط[2] ، لذلك العهد عينه ، «أن بولس اسقف القسطنطينية واسكليباس اسقف غزّه ومرشلوس اسقف انقره ولوسيوس اسقف ادريانوپوليس طُردوا من كنائسهم لاسباب مختلفة. فاتوا الى رومة حيث عرضوا قضاياهم ليوليوس الاسقف الروماني . وان هذا ، نظرًا الى ما للكنيسة الرومانية من الميزات ، ارجعهم الى الشرق مشفوعين برسائل منه ، واعادَ كلًا منهم الى كرسيه . وفي الوقت ذاته وبّخ الذين كانوا قد اقدموا على عزلهم.»

٥ : وكذا يوحنا فم الذهب ايضاً ، في القرن الخامس. فانه لما تعدّى عليه ثيوفيلوس واشياعه وعقدوا مجمعاً فيه حطّوه من كرسيّ القسطنطينية ، كتب رسالته المشهورة[3] الى البابا اينوشنسيوس الاول يستنجده على ظالميه . قال : «التمس اليك ان تكتب ان الامور هذه ، التي انما وقعت ظلماً ... ، لا قوة لها ... وان تُنزل في الذين اتوها عقابات الشرائع الكنسية.»

ولئن فيما جرى بمجمع افسس المسكوني ، عام ٤٣١ ، برهانٌ تاريخي ساطع على اعتقاد الكنيسة المقدّسة بسلطة الحبر الروماني الفعلية الخليقة ان تُطاع . كان البابا شلستينوس ، قبل انعقاد المجمع ، اي في العام ٤٣٠ ، اصدر حكمه على نسطوريوس . ثمّ عيّن القديس كيرلس الاسكندري وكيلًا عنه كيما يتصدّر المجمع بالنيابة عنه . وامر قصّاده ان يراعوا كرامة الكرسي الرسولي بان لا يتدخلوا بالمجادلات بل يحكمون في اراء غيرهم . وكتب الى المجمع

(١) S' Athan. *Apol. c. Arian.* 20, 35

(٢) في تاريخه الكنسي ٢ : ١٥ .

(٣) *Ep. I ad Innocent, I.*

انهُ مرسلٌ قصّادًا « كيما يحضروا ما يجري فيه وينفّذوا ما كان هو قد قرّره من قبل .»[1] وان سألت باي حقّ يتصرّف هكذا شلستينوس بالمجمع ، ولا معارض ، اجابك الكاهن فليس ، وكان احد قصّاد البابا اذ ذاك ، بما بسطه للسينودس قائلًا :

«لا يشكُّ احدٌ ، بل هو امرٌ معروفٌ لدى كل الاجيال ، ان القديس بطرس الكلي النبطة ، امير الرسل ورأسهم ، اخذ من ربنا يسوع المسيح مفاتيح الملكوت . وهو الى زمننا هذا والى الدوام حيٌّ في خلفائه ، وبهم يزاول القضاء . وعليه فالذي خلفه بحسب الترتيب وهو قائم مقامه ، القديس الكلي النبطة ، بابانا شلستينوس الاسقف ، ارسلنا الى هذا المجمع لننوب مناب .» (٢)

ثم عُقد المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ . وفيه اتّبع الآباء ما كان البابا القديس لاون الاول قد سبق وحدّد في شأن اوطيخا هاتفين : «ان بطرس تكلم بفم لاون» واقرّوا صريحًا ان لاون هو الذي ، بواسطة قصّاده ، تصدّر مجمعهم «كما يرأس الرأس الاعضاء» . واما ديوسقورس ، الاسقف الاسكندري المخلوع ، فصرّحوا عنه في رسالتهم الى لاون انه «قد تحامل جاهلًا احق على الذي وكل اليه المخلص حراسة الكرمة ، اي حتى على قداستك الرسولية ، فعزم على رشقك بالحرم انت الذي بادرت لتوحيد جسد الكنيسة»[2]

فشتّان بين تصريحات الآباء الافسسيين والخلقيدونيين المذكورة والقول « ان الكنيسة المقدسة احترمت بابا رومة كزعيم ذي شأن وليس كرئيس مطاع . » ومما يهم ابناء شرقنا العزيز معرفته ، ان الاكثرية الساحقة ، في مجمعَي افسس وخلقيدونة ، كان قوامها الاساقفة الشرقيين دون الغربيين . وان هذين المجمعين يعترف بهما اخوتنا المنفصلون .

ولا عجب فان الآباء ، في المجامع وخارجًا عنها ، لم يغرب عن بالهم وعدُ الرب لبطرس « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن

---

١) راجع تاريخ المجامع لهيفله (Hefele) : الجزء ٢ من المجلّد ٢ من الترجمة الفرنسية ص ٢٦٠–٣٠٠

٢) ذكره فان نورت في مؤلفه عن كنيسة المسيح ص ٧٠

٣) راجع هيفله في الجزء ٢ من المجلد المذكور ص ٦٧٨–٦٩٠ و٨٢٥–٨٤٤ .

تقوى عليها.» فلو كانت السلطة السامية المطلقة ، المعطاة لبطرس ، قد تلاشت بموته ، لجاز القول ، والعياذ بالله من الكفر ، انَّ ابواب الجحيم قويت على الكنيسة فقد اخلف المخلص بوعده . واما الحقيقة فهي ان بطرس ، برئاسته وسلطته التامة ، لا يزال حيًّا في خلفائه.

اما كون الحبر الروماني هو خليفة بطرس فهذا ما يشهد به التاريخ القديم والحديث ، بل الواقع الظاهر في ايامنا هذه.

وفعلًا ان كانت كنيسة المسيح الحقيقية لا تموت ولا يطرأ تغيير على ما رتب فيها منشئها الالهي ، وان كانت منظورة ، على ما وضع لها عزّ وجل ، وجب القول ان خليفة بطرس في رئاسته عليها ، ينبغي ان يكون هو ايضاً ، والى ايامنا هذه ، منظورًا.

ولكن تُرى هل ادَّعى او يدّعي جديًّا بخلافة بطرس احدٌ من رؤساء الكنائس المنظورين ، سوى الحبر الروماني ؟ ولو ادّعى غيره بها قبل يعترف به ذووه ؟

نَعَم قد سُمع في الآونة الاخيرة مَن ينادي: «ان الرئاسة هي لانطاكية ، دون رومة.» وهو زعم اول من يدحضه القديس اغناطيوس الانطاكي[1] وهو من اقدم خلفاء الرسول بطرس على كرسي انطاكية ، بل هو اوجبهم لا محالة. فلم يبقَ الا واحدة من اثنتين: فاما ان خلافة بطرس قد انقرضت فتكون الكنيسة الحقيقية قد انقرضت معها ، مما ينقضه وعد المسيح الصريح في الانجيل الطاهر. واما بطرس لا يزال حيًّا في الحبر الروماني ، على ما حدّد المجمع الفلورنتيني المسكوني ومن بعده الفاتيكاني ، المسكوني ايضاً ، في الرأس الثاني من جلسته الرابعة ، حيث قال:

«ان قال احدٌ انه ليس من وضع المسيح الرب ، اي من الحق الالهي ، ان يكون للطوباوي بطرس ، في رئاسته على الكنيسة جماء ، خلفاء دائمون ، او انَّ الحبر الروماني ليس خليفة الطوباوي بطرس في هذه الرئاسة عينها ، فليكن محرومًا.»

---

١) راجع رسالته الى الرومانيين.